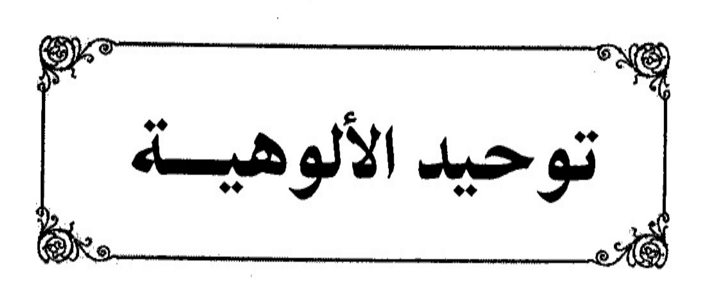


توحيد الألوهيــة

إعــداد

د. عواد عبدالله المعتق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد :

فإنه لا يخفى على كل مسلم أهمية هذا التوحيد ؛ ذلك أنه من الإيمان بالله الذي هو الأصل الأول من أصول العقيدة الإسلامية ؛ بل لأجله خلق الله الخلق وبعث الرسل إلى أممهم - ولا يختلف مسلمان في أن تحقيق هذا التوحيد ظاهراً وباطناً هو مدار النجاة يوم القيامة .

ونظراً .. إلى أن البعض قد يخطىء في تحقيق هذا التوحيد فيظن أن التصديق بالقلب أو التصديق بالقلب والقول باللسان كاف في تحقيقه . وينسى العمل أو يتناساه .

وإذا أنكرت عليه تقصيراً في العبادة قال : الإيمان بالقلب .

ويخطىء آخرون فيقعون في شيء من نواقضه ، أو في شيء من الوسائل المؤدية إلى ناقض من نواقضه .

لما ذكرت وغيره . رأيت أن أكتب لمحة موجزة حول هذا التوحيد وقد جعلتها في :

مقدمة : في بيان أهمية هذا البحث وبعض الدوافع التي دفعتني إلى

إعداده .

المبحث الأول : في مسائل عامة تتعلق بتوحيد الألوهية .

المبحث الثاني : في العبادة .

المبحث الثالث : في نواقض توحيد الألوهية .

الخاتمة : في بعض النتائج التي توصلت إليها .

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يتقبل صوابه ويتجاوز عن خطئه إنه سميع مجيب .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

المبحث الأول
مسائل عامة تتعلق بتوحيد الألوهية

أ- تعريف توحيد الألوهية :

توحيد لغة : على وزن تفعيل مصدر وحدته توحيداً كما تقول كلمته تكليماً ولهذا الفعل وجهان :

أحدهما : تكثير الفعل وتكريره والمبالغة فيه كقولهم كسّر الإناء وغلّق الأبواب .

ثانيهما : وقوعه مرة واحدة كقولهم غديت فلاناً ، وكلمته .

ومعناه : الحكم بأن الشيء واحد ، والاعتقاد بأنه واحد .

تقول : وحّدت الشيء : جعلته واحداً ، ووحّدت الله أقررت وءآمنت بأنه إله واحد لا شريك له لا جعلته واحداً ؛ ذلك أن وحدانية الله ذاتيه ليست بجعل جاعل . والتشديد للمبالغة في وصفه بذلك .

قال ابن منظور : (التوحيد هو الإيمان بالله وحده لا شريك له) [١].

والألوهية : هي العبادة .

---

(١) انظر : لسان العرب مادة وحد ج٣ ، ص ٨٨٨-٨٨٩ والمعجم الوسيط ، جـ١ ، ص ١٠١٦ .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ الآية [١].

قرأ ابن عباس : (.. ويذرك وإلهتك ..) بكسر الهمزة أي وعبادتك .

قال ابن منظور : (وهذه الأخيرة عند ثعلب كأنها هي المختارة .

قال لأن فرعون كان يعبد ولا يعبد . . يقوي ما ذهب إليه ابن عباس في قراءته ويذرك وإلهتك قول فرعون : أنا ربكم الأعلى ، وقوله ما علمت لكم من إله غيري ..) [٢].

والإله : بمعنى المألوه أي المعبود [٣].

وتوحيد الألوهية : هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو المستحق للعبادة وحده مع التزام ذلك والعمل به .

وعرف أيضاً بأنه : إفراد الله بجميع أنواع العبادة [٤].

والتعريفان متقاربان .

ب – منزلته من الدين الإسلامي :

لهذا التوحيد منزله كبيرة تتضح فيما يلي .

---

(١) آية ١٢٧ ، الأعراف .

(٢) لسان العرب جـ١ ، ص ٨٨ . وانظر : تفسير ابن كثير جـ٢ ص٢٣٩ .

(٣) انظر : لسان العرب جـ١ ، ص٨٨ .

(٤) الإرشاد الى صحيح الاعتقاد ، ص ٣٠ .

أولاً : أنه هو الغاية المحبوبة لله المرضية له التي خلق الخلق لها قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١) .

ثانياً : أنه أول دعوه الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن أجله بعثهم الله إلى أممهم قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ... الآية﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ... الآية﴾(٣) .

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ... الآية﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ... الآية﴾(٥) .

---

(١) آية ٥٦ الذاريات .

(٢) آية ٥٩ الأعراف .

(٣) آية ٦٥ الأعراف .

(٤) آية ٧٣ الأعراف.

(٥) آية ٨٥ الأعراف .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ... الآية﴾[١].

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[٢] .

ثالثاً : وهو أول أمر في القرآن قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٣] .

رابعاً : أنه أول واجب على المكلف ؛ لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن : (فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل...)[٤].

خامساً : أنه آخر واجب على المكلف ينبغي أن يموت عليه الإنسان لما روي عنه ﷺ أنه قال : (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[٥] .

---

(١) آية ٣٦ النحل

(٢) آية ٢٥ الأنبياء

(٣) آية ٢١ سورة البقرة

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب من حديث ابن عباس .

(٥) أخرجه أبو داود في الجنائز باب التلقين والحاكم في المستدرك جـ١ ص٣٥١ وصححه انظر جامع الأصول حديث ٧٠٠٦ (المتن والحاشية) .

ولما روي عنه ﷺ أنه قال (لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله) [١] .

سادسا : أنه هو التوحيد الذي ضلت فيه الأمم وأخل به المشركون في كل زمان .

سابعاً : أن الرسول ﷺ دعا إليه طيلة العهد المكي وأكثر العهد المدني .

ثامناً : أن أغلب آيات القران جاءت في تأكيده والنهي عن الشرك فيه مثل قوله تعالي : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... الآية ﴾ [٢]، وقوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [٣]، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ...الآية ﴾ [٤].

تاسعاً : أن الرسول ﷺ أُمر أن يقاتل الناس عليه وعلى مستلزماته كالشهادتين وبقية أركان الإسلام .

قال ﷺ : (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن

---

(١) رواه مسلم في الجنائز باب تلقين لا إله إلا الله ، وأبو داود برقم ٣١١٧ والترمذي برقم ٩٧٦ وانظر جامع الأصول حديث ٨٥٥٠ .

(٢) آية ٤ سورة الممتحنة .

(٣) آية ٤٥ الزخرف.

(٤) في موضعين في سورة النساء آية ٤٨ ، وآية ١١٦.

محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلو ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[١] .

عاشراً : أنه هو المقصود بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[٢].

جـ - أساليب القرآن في الدعوة إليه :

*** من أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية ما يلي :**

١- أمره سبحانه وتعالى بعبادته والنهي عن عبادة ما سواه مثل قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...الآية ﴾[٣] .

٢- شهادته سبحانه وتعالى على هذا التوحيد كما شهدت ملائكته وأنبيائه ورسله .

قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة . ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، انظر جامع الاصول حديث ٣٥.

(٢) انظر : شرح الطحاوية ص٧٤- ٧٦ والعبودية لابن تيميه ص٣٩ والتدمريه ص١٧٤- ١٧٥ ، ١٩٥- ١٩٩ وتيسير العزيز الحميد ص٢٠-٢٢.

(٣) آية ٣٦ النساء .

(٤) آية ١٨ آل عمران .

٣- إخباره سبحانه وتعالى أنه خلق الخلق لعبادته، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[(1)].

٤- إخباره سبحانه أنه أرسل الرسل بالدعوة إلى عبادته والنهي عن عبادة ما سواه. كما في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ...الآية ﴾[(2)].

٥- الاحتجاج بتفرد الله بالربوبية وكمال التصرف والنفع والضر وغيرها من خصائص الربوبية على استحقاقه وحده للعبادة ووجوب إفراده بالإلوهية.

مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[(3)].

٦- التنديد بما يتخذه الناس آلهة من دون الله وإظهار حالها من العجز الشنيع والفقر البالغ والغفلة عمن يدعوها ويفزع إليها.

---

(١) آية ٥٦ الذاريات.

(٢) آية ٣٦ النحل.

(٣) آية ٢١-٢٢ البقرة.

مثل قوله تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾[4] .

٧- التشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة ورميهم بالضلال والسفه حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يملك لهم ضراً

(١) آية ١٩١-١٩٢ الأعراف .

(٢) آية ١٩٧-١٩٨ الأعراف .

(٣) آية ٧٣ النحل .

(٤) آية ٧٣ الحج .

ولا نفعاً ولا تغني شفاعتهم عنه شيئاً ، وذلك مثل قوله تعالى - على لسان إبراهيم عليه السلام في خطابه لقومه - ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾[3] .

٨- ومنها : بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله وبيان مآلهم مع من عبدوهم حيث تتبرأ تلك المعبودات من عابديها في أحرج المواقف .

مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم

---

(١) آية ٦٦ - ٦٧ الأنبياء .

(٢) آية ٥٤ الأنبياء .

(٣) آية ٥ الأحقاف .

بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾[١] .

وقوله تعالى: ﴿... وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[٣] .

٩- الاحتجاج بتفرد الله سبحانه وتعالى بكمال الأسماء والصفات وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين .

مثل قوله تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥].

وقوله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه : ﴿... يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[٦] .

---

(١) آية ١٦٥-١٦٧ البقرة .

(٢) آية ١٤ فاطر .

(٣) آية ٥-٦ الأحقاف .

(٤) آية ١٦٣ البقرة .

(٥) آية ٢ الفاتحة .

(٦) آية ٤٢ مريم .

وقوله تعالى : ﴿... فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ...الآية ﴾[(٢)] .

١٠- الوعد لمن وحده والوعيد لمن أشرك به قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ...الآية ﴾[(٣)] .

وقال تعالى : ﴿... إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[(٤)] .

وقال تعالى : ﴿... لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[(٥)] .

١١- ضرب الأمثلة التي تبين أن المشرك مهما عمل فلن ينال رضا معبوده ؛ ذلك أن إرضاءه أحد الشريكين مسخط للآخر ، على عكس الموحد .

---

(١) آية ٦٥ مريم .

(٢) آية ١٤٨ الأعراف .

(٣) آية ٤٨ النساء .

(٤) آية ٧٢ المائدة .

(٥) آية ٦٥ الزمر .

كما قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

١٢- رده على المشركين في اتخاذهم الوسائط بينهم وبينه بأن الشفاعة ملك له سبحانه لا تطلب إلا منه ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه بعد رضاه عن المشفوع له .

كما في قوله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[3] .

١٣- بيان أن هؤلاء المعبودين لا يحصل منهم نفع لمن عبدوهم من جميع الوجوه ، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن

---

(١) آية ٢٩ الزمر .

(٢) آية ٤٣-٤٤ الزمر .

(٣) آية ٢٦ النجم .

شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[1] .

١٤- ضرب الأمثلة التي تصور علو التوحيد والموحد وانخفاض الشرك والمشرك .

مثل قوله تعالى : ﴿... وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾[2] [3] .

د- تحقيقه :

تحقيق هذا التوحيد يكون بإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة والبراءة من كل معبود سواه ومن كل وسيلة قد تؤدي إلى عبادة ذلك الغير[4] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿... قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[6] .

---

(١) آية ٢٢ سبأ .

(٢) آية ٣١ الحج .

(٣) انظر : دلائل التوحيد ص ٧٩-٨٤ والمنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية ص ٥٥-٥٨ والتوحيد عفيفي ، ص ٢٩-٣١ والإرشاد ص ٣٩-٤٢

(٤) انظر : دلائل التوحيد ص ٨٥ .

(٥) آية ٢٦-٢٧ الزخرف .

(٦) آية ١٩ الأنعام .

هـ- علاقته بتوحيد الربوبية :

توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعني أن توحيد الربوبية داخل ضمن توحيد الألوهية فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً فلابد أن يكون قد اعتقد أنه ربه ومليكه لا رب له غيره ولا مالك له سواه فهو يعبده لاعتقاده أن أمره كله بيده وأنه هو الذي يملك ضره ونفعه وأن كل ما يدعى من دونه لا يملك ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً كما حكى الله عن إبراهيم عليه السلام أنه قال : ﴿... أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[١] .

قال ابن أبي العز : (وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً قال تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾[٢])[٣] .

---

(١) آية ٧٥-٨٢ الشعراء

(٢) آية ١٩١ الأعراف .

(٣) شرح الطحاوية ص٨٧ وانظر : ص٨١ من نفس الكتاب .

و- فوائده :

من فوائد توحيد الألوهية ما يلي :

١- الخلوص من الشرك بنوعيه في العبادة .

ذلك أن إخلاص العبادة لله يعني الخلوص من الشرك الأكبر الذي توعد الله صاحبه بعدم المغفرة . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ... الآية﴾[1] .

ومن الشرك الأصغر الذي توعد الله صاحبه بعدم قبول أي عمل فيه شيء منه كما قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[2] .

٢- الخلوص من النفاق بنوعيه :

ذلك أنه متى ءامن العبد بالله وأخلص العمل له أصبح ما يظهره ، يوافق ما يبطنه ؛ لأنه لا يخشى إلا الله ولا يرجو سواه .

---

(١) آية ٤٨ النساء .

(٢) آية ١٥ ، ١٦ هود .

ولم يقدم على فعل محظور أو ترك مأمور ، خوفاً من عقاب الله ورجاء لثوابه . وعلى إثر ذلك فلن يعمل شيئاً من أعمال المنافقين كالكذب والخيانة والغدر والفجور والتخلف عن بعض الصلوات .

٣- وحدة الصف وجمع الكلمة وقوة الأمة بسبب اجتماعها على توحيد الله . ويكفي في ذلك واقع العرب . قبل الإسلام كانوا متفرقين فلما وحدوا الله أصبحوا أمة واحدة وصف واحد .

٤- الحصول على نصر الله وتأييده :

قال تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ... ﴾الآية [1] .

وقال تعالى ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[2] .

٥- أنه يورث القوة والشجاعة . فلا يخاف الموحد إلا الله ولا يتوكل إلا عليه ولا يسأل غيره ولا يلوذ إلا به ، لإيمانه أن الأمر كله بيده .

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ

---

(١) آية ٥٥ النور .

(٢) آية ٤٠ الحج .

وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[١] .

ومما يؤكد ذلك واقع العرب قبل الإسلام وبعده . قبل الإسلام كانوا محصورين في هذه الجزيرة يخاف أحدهم من ذكر اسم كسرى وقيصر ، وبعد الإسلام خرجوا من هذه الجزيرة مجاهدين في سبيل الله حتى بلغت دولتهم مشارف الهند شرقاً وأسبانيا غرباً .

٦- **توحيد الألوهية يزيل من النفس الكبر والإعجاب** ، ويحمل المرء على التواضع لأمور منها :

أ- إيمانه أن الذي أعطاه الصحة والمال والجاه ومنع غيره قادر أن يمنعه ويعطي غيره ، وأنها نعمة من أسباب بقائها الشكر ومن الشكر التواضع .

ب- إيمانه أنه خلق من ضعف وينتهي إلى ضعف - فأوله نطفة وآخره جيفة - فمن كان هذا حاله كيف ينازع الخالق في شيء من خصائصه . وفي الحديث القدسي (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)[٢] .

٧- يحمل المرء على الوفاء والرحمة والشفقة ومراعاة حقوق الجوار

---

(١) آية ١٢٣ هود .

(٢) رواه أبي داود في كتاب اللباس باب ٢٩ برقم ٤٠٩٠ وابن ماجة في الزهد باب ١٦ برقم ٤١٧٥ .

وتوقير الكبير والرحمة بالصغير وعرفان الجميل وغيرها من الأخلاق الإسلامية الفاضلة لإدراكه أنها عبادة يثاب على فعلها وقد يعاقب على تركها وأنها مما يزيد الإيمان [١].

ز- بيان خطأ منهج المتكلمين في خلطهم بين توحيد الألوهية والربوبية.

يقرر عامة المتكلمين أن التوحيد ثلاثة أنواع فيقولون :

هو : واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له .

وأشهر الأنواع عندهم هو الثالث ، وهو توحيد الأفعال .

وهو أن خالق العالم واحد . ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب وأنه هو معنى قولنا لا إله إلا الله حتى قد يجعلوا معنى الإلهية هي القدرة على الاختراع .

وهو قول خاطئ - كما قال شيخ الإسلام - ودليل ذلك أنه لم كن هناك خلاف بين الرسول ﷺ وبين مشركي العرب في الربوبية . بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى أنهم كانوا مقرين بالقدر أيضاً وهم مع هذا مشركون . وإذا كان المشركون معترفين به ومع ذلك هم مشركون كما ثبت في الكتاب والسنة والإجماع . وكما علم في الاضطرار من دين الإسلام

---

(١) انظر : فقه التوحيد ص ٨٢-٨٥ والقول السديد شرح كتاب التوحيد ، ص ١٧-١٩ .

فقولهم الإلهية هي القدرة على الاختراع ، والإله القادر على الاختراع ، وأن من أقر بأن الله قادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله قول خاطئ مجانب للصواب بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد ، وتوحيد الإلهية هو أن يعبد الله وحده لا شريك له ، والإشراك أن يجعل مع الله إله آخر [1].

* * *

(١) انظر : التدمرية ص ١٧٩-١٨٢ ، ١٨٥-١٨٦ .

المبحث الثاني : في العبادة

تمهيد : سبق أن عرفنا عند تعريف توحيد الألوهية أن الألوهية هي العبادة - والآن لنعرف ما هي العبادة ؟ وما هي أركانها ، وشروطها ، وخصائصها ، وأنواعها ؟

فنقول وبالله التوفيق .

أ- تعريفها :

العبادة لغة : الطاعة مع الخضوع ومنه طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء .

ومنه : البعير المعبد أي المهنوء بالقطران . لأن ذلك يذله ويخفض منه[1] .

العبادة شرعاً : عرفت بتعاريف كثيرة أظهرها ما قاله شيخ الإسلام ، حيث قال : (العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)[2] .

---

(١) انظر : لسان العرب ، مادة عبد ، جـ٩ ص١٢ ومعجم مقاييس اللغة مادة عبد جـ٤ ص٢٠٦.

(٢) العبودية ص ٣٨ .

ب- أركان العبادة :

يقول شيخ الإسلام (لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية الحب له ... ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما يحب الرجل ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ...) [(١)] .

وقال ابن القيم وهو يستدل بقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ...الآية ﴾[(٢)] على منزلة الرجاء - قال : (فذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه : الحب ، والخوف والرجاء)[(٣)] .

من كلام شيخ الإسلام وابن القيم اتضح أن العبادة المأمور بها تقوم على أركان ثلاثة وهي المحبة والرجاء والخوف.

الركن الأول : المحبة :

والمراد بها هنا محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم

---

(١) العبودية ص ٤٤ .

(٢) آية ٥٧ الإسراء .

(٣) مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص٣٦ .

وكمال الطاعة وإيثاره سبحانه وتعالى على غيره .

وهي المحبة الخاصة التي لا يجوز تعلقها بغير الله ، ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً أكبر .

قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ... الآية ﴾[1] .

ودليلها وعلامتها : اتباع الرسول ﷺ .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

قال أبو سليمان الداراني : (لما ادعت القلوب محبة الله ، أنزل الله لها محنة ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ... الآية ﴾[3])[4] .

وقال ابن القيم - وهو يتكلم عن هذه المحبة - : (فدليلها وعلامتها اتباع الرسول ﷺ ..)[5] .

---

(١) آية ١٦٥ البقرة .

(٢) آية ٣١ آل عمران .

(٣) آية ٣١ آل عمران .

(٤) مدارج السالكين ، جـ٣ ، ص٢٢ .

(٥) مدارج السالكين ، جـ٣ ، ص٢٢ .

الثاني : الرجاء :

وهو أن يقوم العبد بالعبادة على نور من الله يرجو ثوابه ، أو يتوب إليه من ذنب فهو يرجو مغفرته وعفوه ويطمع في مزيد إحسانه دون أن يوقعه ذلك في شيء من الأمن من مكر الله وعقوبته .

قال تعالى : ﴿ ... فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[(١)] .

وهو من مستلزمات المحبة - وعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء . فالعبد أرجى ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه ، كما أنه لا يكون إلا مع الإتيان بالأسباب من فعل الأوامر وترك النواهي .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٢)] .

فذكر سبحانه وتعالى أنهم يرجون رحمة الله مع الاجتهاد في الأعمال الصالحة- أما الرجاء مع الإصرار على ترك المأمور أو فعل المنهي ، فذلك من غرور الشيطان .

الثالث : الخوف :

وهو أن يعبد العبد ربه خوفاً من عقابه وحذراً من ناره دون أن يدفعه هذا

---

(١) آية ٩٩ الأعراف .

(٢) آية ٢١٨ البقرة .

الخوف إلى شيء من اليأس والقنوط . قال تعالى : ﴿ ... إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1] .

وعلى حسب المحبة يكون الخوف . لكن خوف المحب لا يصحبه وحشه بخلاف خوف المسيء .

وهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله تعالى ؛ لأنه من لوازم الألوهية فمن اتخذ مع الله نداً يخافه كخوف الله فهو مشرك كمن يخاف من صاحب قبر ونحوه . قال تعالى : ﴿... فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] .

وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في آلهتهم ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن كما خوفوا الخليل عليه السلام فقال لهم : ﴿... وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[3][4] .

---

(١) آية ٨٧ يوسف .

(٢) آية ١٧٥ آل عمران .

(٣) آية ٨٠-٨١ الأنعام .

(٤) انظر : العبودية ص ٤٤ ، ١٠٤ ، ومدارج السالكين جـ١ ، ص ٥٤٨-٥٥٤ ، وجـ٢ ،

ونختم الكلام في أركان العبادة بالتذكير بأن هذه الأركان لابد أن تكون مجتمعة وأن يكون بينها شيء من التوازن فمن تعلق بواحد منها أو غلا فيه على حساب الآخر . لم يكن عابداً لله تمام العبادة .

فعبادة الله بالحب فقط طريقة الصوفية .

وعبادته بالرجاء وحده طريقة المرجئة .

وعبادته بالخوف وحده طريقة الخوارج .

وعبادته بالحب والخوف والرجاء طريقة أهل السنة التي يجب أن يكون عليها كل مسلم[1] .

ج - شروط العبادة :

للعبادة ثلاثة شروط لا قوام لها إلا بها .

الأول : صدق العزيمة .

والمراد به : بذل الجهد في تصديق القول بالفعل في امتثال أمر الله وترك

ص٣٦-٣٧ ، ٤٢-٤٤ ، ٥١ ، و جـ٣ ، ص٩ ، ٢٠-٢٢ ، وشرح العقيدة ، الطحاوية ، ص٣٦٦ ، ٣٧١-٣٧٢ ، وتيسير العزيز الحميد ص ٤١١-٤١٢ ، ٤٢٦-٤٢٨ ، ٤٤٨-٤٤٩ .

(١) انظر : شرح الطحاوية ، ص ٣٧١-٣٧٢ ، وفتح الباري جـ١١ ، ص٣٠٢ والإرشاد ص٢٠ .

نهيه وترك التكاسل عن طاعته عز وجل . ولا يكون هذا إلا إذا كان هناك إيمان ؛ ذلك أن الصدق في الفعل ثمرة التصديق في القلب .

وهذا شرط في وجودها . ومتى اختل فإن العبادة تصبح مجرد تمنيات وآمال لا يكاد يهم بها المرء حتى تخبو إرادته .

من الأدلة على هذا الشرط : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ...الآية﴾(٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾(٣) .

وقال ﷺ : (الكّيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)(٤) .

الثاني : إخلاص النية : وهو أن يكون مراد العبد من عمله وجه الله

---

(١) آية ١١٩ التوبة .

(٢) آية ٢٣ الأحزاب .

(٣) آية ١٢٤ النساء .

(٤) رواه الترمذي برقم ٢٤٦١ في صفة القيامة باب ٢٦ وقال الترمذي هذا حديث حسن وانظر : جامع الأصول حديث ٨٤٧٥ (المتن والحاشية) .

والدار الآخرة.

وهذا من شروط القبول . ومتى اختل هذا الشرط لم يقبل العمل لكونه من الشرك الأكبر أو الأصغر بحسب ما نقص من الإخلاص .

فإن كان الباعث على العمل من أصله هو إرادة غير الله فنفاق ، وإن كان الباعث عليه أولاً إرادة الله والدار الآخرة لكن دخل الرياء في تزيين العمل كان شركاً أصغر ، حتى إذا غلب عليه التحق بالأكبر .

*** من الأدلة على هذا الشرط ما يلي :**

قوله تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ...الآية ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[3] .

وقال ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت

(١) آية ٥ البينة .

(٢) آية ١٨ - ١٩ الإسراء .

(٣) آية ١١٠ سورة الكهف .

هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [١] .

وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالى (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) [٢] .

الثالث : موافقة الشرع :

والمراد به : أن لا يعبد الله إلا بما شرعه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

وأي عبادة مخالفة لذلك فهي بدعة وشرع مالم يأذن به الله ، وعليه فهي مردودة على صاحبها .

الأدلة: منها : قوله تعالى : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [٣] فإسلام الوجه : إخلاص العمل . والإحسان فيه : متابعة الرسول ﷺ .

---

(١) رواه البخاري في الإيمان باب ماجاء أن الأعمال بالنية ، ومسلم في الإمارة باب قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنية) وانظر : جامع الأصول حديث ٩١٦٣ .

(٢) أخرج مسلم في الزهد باب من أشرك في عمله غير الله ، وانظر : جامع الأصول حديث ٢٦٥١ .

(٣) آية ٢٢ لقمان .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[١] .

وقال ﷺ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[٢][٣] .

د - خصائص العبادة :

للعبادة في الإسلام خصائص فريدة منها ما يلي :

١ - الشمول : ويتجلى في جانبين .

الأول : في أنواع العبادة فقد شملت العبادة جميع أفعال الإنسان القلبية والقولية والجسدية . سواء ما يتعلق بعلاقة العبد بربه أو بما سواه من البشر أفراداً وجماعات .

وقد أشارت النصوص إلى هذا الشمول في أكثر من موضع .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ

---

(١) آية ٨٥ آل عمران .

(٢) أخرجه البخاري في البيوع باب النجش ومسلم في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة . وانظر جامع الاصول حديث ٧٥ .

(٣) انظر : معارج القبول جـ١ ، ص٣٢٥-٣٢٨ ، ومدارج السالكين جـ٢ ص٩٣ ، وتفسير ابن كثير جـ١ ص٥٥٩ ، والفتاوى جـ١ ، ص٣٣٣ - ٣٣٤ .

وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[١] .

وقال ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان)[٢] .

الثاني : - في جانب القائمين بها - فإن العبادة تشمل جميع طبقات المجتمع وفئاته لا تختص بطبقة أو فئة دون أخرى .

ولذا جاء الخطاب بها عاماً شاملاً .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٣] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٤] .

---

(١) آية ١٧٧ البقرة .

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب ٣ حديث ٩ . ومسلم في كتاب الإيمان باب ١٢ حديث ٥٨ .

(٣) آية ٢١ البقرة .

(٤) آية ٩٢ الأنبياء .

٢ - الاستمرار :

كذلك من خصائص العبادة في الإسلام الاستمرار ابتداءً من سن التمييز تمريناً ومن سن البلوغ تكليفاً وتستمر به حتى الموت .

قال تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[١] .

قال ابن كثير (ويستدل بهذه الآية الكريمة وهي قوله : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتاً ..)[٢].

٣ - اليسر والسهولة :

كذلك تختص العبادة في الإسلام باليسر والسهولة ؛ لأنها من وضع الرؤوف الرحيم ، ولأنها شرعت من أجل إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة.

قال تعالى : ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

---

(١) آية ٩٨ - ٩٩ الحجر .

(٢) تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص٥٦٠ .

(٣) آية ١ - ٢ طه .

وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ...الآية ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ...الآية ﴾[2].

وقال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ...الآية ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...الآية ﴾[4].

وقال ﷺ : (بعثت بالحنيفية السمحة)[5].

وقال ﷺ: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ... الحديث)[6].

---

(١) آية ١٥٧ الأعراف .

(٢) آية ٧٨ الحج .

(٣) آية ١٨٥ البقرة .

(٤) آية ٢٨٦ البقرة .

(٥) رواه أحمد ، جـ٥ ، ص٢٦٦ .

(٦) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب الدين يسر حديث ٣٩ .

قال ابن حجر (... سمي الدين يسراً بالنسبة إلى الأديان قبله ؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم . . .) [١].

٤ - توقيفية :

والمراد بذلك أن العبادة موقوفة على الكتاب والسنة فلا مجال لأحد أن يزيد فيها أو ينقص من عند نفسه .

قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ...الآية ﴾[٢] الآية .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ...الآية ﴾[٣] الآية .

وقال تعالى : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[٤] .

يقول ابن كثير : (يقول تعالى مخبراً عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه ، ولهذا قال ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي في عمله

---

(١) فتح الباري جـ١ ص٩٣ .

(٢) آية ١٣ سورة الشورى .

(٣) آية ٢١ الشوري .

(٤) آية ٢٢ لقمان .

باتباع مابه أمر وترك ما عنه زجر)[١] .

وقال ﷺ : (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)[٢] .

وفي الصحيحين وغيرهما عن عابس بن ربيعة قال رأيت عمر أتى الحجر فقال : (أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك ثم دنا فقبل)[٣].

٥ - التنوع :

والمراد بذلك : أن الشارع قد نوع العبادة إلى أنواع متعددة من حيث حكمها تبعاً لأقسام الحكم التكليفي . فمنها : الواجب ومنها الحرام ، ومنها المندوب ، ومنها المكروه ، ومنها المباح .

وذلك توسعة على العباد ، ومراعاة لأحوال نشاطهم وكسلهم من جهة ، وزيادة في الامتحان من جهة أخرى ففي المباحات توسعة على العباد ، وفي المندوب والمكروه تخفيفاً عنهم وزيادة في الاختبار لهم ؛ ذلك أن الامتحان يكون في الأحكام غير الإلزامية أوضح منه في الأحكام الإلزامية ؛ إذ أن امتثال الواجبات واجتناب المحرمات أهون على ضعيف الإيمان من

---

(١) تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص٤٥١ .

(٢) أخرجه البخاري في البيوع باب النجش ومسلم في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة وانظر : جامع الأصول حديث ٧٥ .

(٣) انظر : كنز العمال ، حديث ١٢٥٠٧ .

فعل المندوبات وترك المكروهات . فإذا قوي إيمان المرء لم يقف عند حدود الواجبات بل يتعداها إلى المندوبات ، كما لا يقتصر على ترك المحرمات بل يتعداها إلى ترك المكروهات[1] .

هـ- أنواع العبادة :

العبادات التي يتحقق هذا التوحيد بها على كثرتها أرجعها البعض إلى ثلاثة أنواع .

فقال : العبادة : منقسمة على القلب واللسان والجوارح[2] .

وأرجعها البعض إلى أربعة ، فقال :

١ - عبادات قلبية .

٢ - عبادات قولية .

٣ - عبادات بدنية .

٤ - عبادات مالية[3] .

ومنهم من زاد على هذا التقسيم . فقال : العبادة من حيث تعلقها بالعبد

---

(١) انظر : العبادة ، ص٦٤-٧٤ والفتاوى جـ١ ، ص٣٣٤ ، وفتح الباري ، جـ١ ، ص٩٣ . والعبودية ص ٤٠ ، ٤٣ ، ١٣٦-١٣٧ .

(٢) مدارج السالكين ن جـ١ ، ص١٢٣ ، وفتح الباري ، جـ١ ، ص٥٢ .

(٣) دلائل التوحيد ، ص٨٥-٨٦ .

تنقسم إلى ثلاثة أقسام أساسية هي :

١ - عبادات بدنية .

٢ - عبادات مالية .

٣ - عبادات جامعة .

والعبادات البدنية ثلاثة أنواع : عبادات قلبية ، وعبادات فكرية ، وعبادات جسدية[1].

ولعل التقسيم الأول أولى وأوضح للقارئ - ولذا نختاره .

فنقول : العبادة ترجع إلى القلب ، أو اللسان ، أو سائر الجوارح .

منها ما يؤدى بواحد من الثلاثة ، ومنها ما يؤدى باثنين ومنها ما يؤدى بالثلاثة .

وأحكام العبودية خمسة ، واجب ، ومستحب ، ومحرم ، ومكروه ، ومباح.

وعليه فعبادات القلب ، منها الواجب ، ومنها المستحب ، ومنها المحرم ومنها المكروه ، ومنها المباح .

ومثلها ، عبادات اللسان ، وسائر الجوارح .

---

(١) العبادة ، ص٤٧ .

وسأقتصر – إن شاء الله – على ذكر أمثلة من الواجب والمحرم في كل نوع من أنواع العبادة، إيثاراً للاختصار[١].

فأقول – وبالله التوفيق – :

القسم الأول : العبادات القلبية . وهي العبادات التي تؤدى بالقلب .

فمما يجب على العبد منها، الإخلاص، والتوكل، والمحبة لله وفي الله، والصبر، والإنابة والخوف من الله والرجاء له، والتصديق الجازم، والنية في العبادة .

ومما يحرم منها، الكبر والحسد، والرياء، والعجب، والغفلة، والنفاق والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله .

القسم الثاني : العبادات القولية : وهي العبادات التي تؤدى باللسان .

فمما يجب منها : النطق بالشهادتين، وتلاوة ما يلزمه تلاوته من القرآن وهو ما تتوقف صحة صلاته عليه، وتلفظه بالأذكار الواجبة في الصلاة كالتسبيح في الركوع والسجود وقول ربنا ولك الحمد بعد الاعتدال، والتشهد، والتكبير . والأذكار الواجبة في الحج، ونحو ذلك .

ومما يجب أيضاً، رد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وأداء الشهادة المتعينة وصدق الحديث .

---

(١) ومن أراد التوسع فليراجع مدارج السالكين، جـ١، ص ١٢٣-١٣٧ .

ومما يحرم ، النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله ، كالنطق بالبدع المخالفة لما أمر الله به ورسوله ، والدعاء إليها ، وتحسينها ، وكالقذف وسب المسلم وأذاه بكل قول ، والكذب ، وشهادة الزور ، والقول على الله بلا علم . ونحو ذلك .

القسم الثالث : العبادات العملية :

وهي العبادات التي تؤدى بسائر الجوارح مما سوى القلب واللسان .

كاليدين والرجلين ، والسمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، واللمس .

فمن عبادات اليدين الواجبة :

مباشرة الوضوء ، والتيمم ، وحركاتها في الصلاة ، وفي أداء الزكاة ، وفي الحج . كالإحرام ، ورمي الجمار .

والتكسب المقدور للنفقة على نفسه وأهله وعياله ، وفي قضاء دينه ، وفي أداء فريضة الحج . وإعانة المضطر ، ونحو ذلك .

ومما يحرم قتل النفس التي حرم الله قتلها ، ونهب المال المعصوم وضرب من لا يحل ضربه . ونحو ذلك .

وكأنواع اللعب المحرم - كالنرد ، وكتابة البدع المخالفة للسنة تصنيفاً أو نسخاً إلا مقروناً بالرد عليها .

وكتابة الزور والظلم ، والحكم الجائر ، والقذف والتشبيب بالنساء الأجنبيات وكتابة ما فيه مضرة على المسلمين في دينهم أو دنياهم ، وكتابة

المفتي على الفتوى ما يخالف حكم الله ورسوله إلا أن يكون مجتهداً مخطئاً .

*** ومن عبادات الرجلين الواجبة :**

المشي إلى الجمعة والجماعات في أصح القولين ، والمشي حول البيت للطواف الواجب ، والمشي بين الصفا والمروة بنفسه أو بمركوبه للسعي الواجب ، والمشي إلى حكم الله ورسوله إذا دعي إليه والمشي إلى صلة الرحم ، وبر الوالدين ، والمشي إلى مجالس العلم الواجب طلبه وتعلمه ، والمشي إلى الحج ، إذا قربت المسافة ولم يكن عليه ضرر ، والوقوف في الصلاة ، ونحو ذلك من الواجبات التي تستلزم المشي .

ومن المحرمة : المشي إلى معصية الله .

*** ومن عبادات السمع الواجبة :**

الاستماع لما أوجبه الله ورسوله كاستماع الإسلام والإيمان وفروضهما ، واستماع القراءة في الصلاة إذا جهر بها الإمام واستماع الخطبة للجمعة في أصح قولي العلماء . ونحو ذلك

ومن المحرمة : الاستماع إلى الكفر والبدع ، إلا حيث يكون في استماعه مصلحة راجحة ، من رده ، أو الشهادة على قائله أو زيادة قوة الإيمان والسنة بمعرفة ضدهما من الكفر والبدعة ونحو ذلك ، وكاستماع أسرار من يهرب عنك بسره ولا يحب أن يطلعك عليه ما لم يكن متضمناً

لحق لله يجب القيام به ، أو لأذى مسلم يتعين نصحه وتحذيره منه .

وكذلك استماع أصوات النساء الأجنبيات التي تخشى الفتنة بأصواتهن إذا لم تدع إليه حاجة من شهادة أو معاملة أو استفتاء ، أو محاكمة ، أو مداواة ، ونحوها .

وكذلك استماع المعازف وآلات اللهو ، ونحوها .

*** ومن عبادات : البصر الواجبة :**

النظر في المصحف ، وكتب العلم عند تعين تعلم الواجب منها والنظر إذا تعين لتمييز الحلال من الحرام في الأعيان التي يأكلها ، أو ينفقها ، أو يستمتع بها ، والأمانات التي يؤديها إلى أربابها ليميز بينها ونحو ذلك ، والنظر في آيات الله الكونية .

ومن المحرمة : النظر إلى الأجنبيات بشهوة مطلقاً وبغيرها إلا لحاجة - كنظر الخاطب والمعامل ، والشاهد والحاكم ، والطبيب - والنظر إلى العورات ونحو ذلك .

*** ومن عبادات الذوق الواجبة :**

تناول الطعام والشراب عند الاضطرار إليه وخوف الموت ومن ذلك سحور الصائم وإفطاره .

وتناول الدواء إذا تيقن النجاة به من الهلاك في أصح قولي العلماء .

ومن المحرمة : ذوق ما حرم الله - كذوق الخمر والسموم القاتلة -

والذوق الممنوع منه للصوم الواجب ، ونحو ذلك .

* ومن عبادات الشم الواجبة :

كل شم تعين طريقاً للتمييز بين الحلال والحرام ، كالشم الذي تعلم به هذه العين هل هي خبيثة أم طيبة ؟

وهل هي سم قاتل أو لا مضرة فيه ؟ أو يميز به بين ما يملك الانتفاع به ، وما لا يملك ؟ . ومن هذا شم المقوّم ، ورب الخبرة عند الحكم بالتقويم ونحو ذلك .

ومن المحرم : التعمد لشم الطيب في الإحرام ، وشم الطيب المغصوب والمسروق ، وتعمد شم الطيب من النساء الأجنبيات خشية الافتتان بما وراءه ، ونحو ذلك .

* ومن عبادات اللمس الواجبة :

لمس الزوجة حين يحب جماعها ، واستلام الحجر الأسود والركن اليماني عند الاستطاعة .

ومن المحرمة : لمس ما لا يحل كلمس المرأة الأجنبية[1] .

---

(١) مدارج السالكين ، جـ١ ، ص ١٢٣-١٣٧ (بتصرف) . وانظر : دلائل التوحيد ، ص٨٥-١٠١ ، وفتح الباري ، جـ١ ، ص٥٢-٥٣ ، والعبادة ، ص٤٩-٥٠ .

المبحث الثالث

نواقض توحيد الألوهية

من نواقض توحيد الألوهية :

أ - الشرك

ب - الكفر

جـ - النفاق

أ - الشرك :

تعريفه : لغة :

تقول شاركته في الأمر وشركته فيه أشركه شركاً وشركة بفتح الأول وكسر الثاني فيهما ويخفقان بكسر الأول وسكون الثاني . وذلك إذا صرت له شريكاً وأشركته : جعلته شريكاً والشرك بالتخفيف أغلب في الاستعمال ويكون مصدراً واسماً جمعه أشراك بمعنى النصيب .

والشرَك : حبالة الصائد . والشركة : معظم الطريق ووسطه .

ومرجع مادة الشرك : إلى الخلط والضم [1].

---

(١) انظر : الصحاح للجوهري جـ٤ ، ص ١٥٩٣-١٥٩٤ ولسان العرب مادة شرك جـ٢، ص٣٠٦-٣٠٧ والمصباح للفيومي ص٣١١ .

وأما في الشرع : فهو كل ما ناقض التوحيد أو قدح فيه مما ورد في الكتاب أو السنة تسميته شركاً [١].

أقسامه :

١ - شرك أكبر .

٢ - شرك أصغر .

الأول : الشرك الأكبر : وهو أن يجعل الإنسان لله نداً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته [٢].

وعرف أيضاً : بأنه تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله [٣] والتعريفان متقاربان .

حكمه : يخرج من الملة وصاحبه حلال الدم والمال وفي الآخرة مخلد في النار .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ...الآية ﴾[٤] .

---

(١) انظر : عقيدة المؤمن ، ص١٠٥ .

(٢) انظر : معارج القبول جـ٢ ، ص٤٨٣ وفتاوى اللجنة جـ١ ، ص ٥١٦-٥١٧ .

(٣) التنبيهات السنية ص١٢٦ .

(٤) آية ٥ سورة التوبة .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ..الآية ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿... إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[2] الآية .

ضرره :

لهذا الشرك أضرار كثيرة منها ما يلي :

١ - أنه يحبط العمل قال تعالى : ﴿... وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[3].

٢ - أن الله حرم عليه الجنة فهو خالد مخلد في النار إذا مات على الشرك.

قال تعالى : ﴿... إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[4]

٣ - أن الله لا يغفر له إلا بالتوبة :

---

(١) آية ٤٨ سورة النساء .

(٢) آية ٧٢ سورة المائدة .

(٣) آية ٨٨ سورة الأنعام .

(٤) آية ٧٢ سورة المائدة .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ .. الآية ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ..الآية ﴾[2].

٤ – أن المشرك حلال الدم والمال قال تعالى: ﴿... فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ...الآية ﴾[3].

كما تحرم مناكحته لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ...الآية ﴾[4].

كما تحرم ذبيحته لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ...الآية ﴾[5].

ويستثنى أهل الكتاب فحرائر نسائهم العفيفات غير المحاربات[6] وذبائحهم حلال لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

---

(١) آية ٤٨ سورة النساء.

(٢) آية ٣٨ سورة الأنفال.

(٣) آية ٥ سورة التوبة.

(٤) آية ٢٢١ سورة البقرة.

(٥) آية ١٢١ سورة الأنعام.

(٦) انظر المغني لابن قدامة جـ٩، ص ٥٤٥، وفتح القدير جـ٢ ص١٥ وأحكام القرآن لابن العربي جـ٢، ص ٥٥٤–٥٥٥.

ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ...الآية ﴾[١] .

كما أن المشرك لا يرث ولا يورث إن كان مرتداً فماله لبيت المال ، وإن كان مشركاً أصلياً شرع جهاده فإن قتل في الجهاد فما له غنيمة وإن مات في غير جهاد فما له لورثته من أهل دينه . ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين .

٥ - أن المشرك قد ارتكب أعظم جريمة وأفظع ظلم حيث جعل للخالق نداً من خلقه فهو أظلم الناس وأضلهم .

قال تعالى : ﴿... وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿... وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[٤][٥] .

---

(١) آية ٥ المائدة .

(٢) آية ٤٨ النساء .

(٣) آية ١٣ لقمان .

(٤) آية ١١٦ النساء .

(٥) انظر تفسير ابن كثير جـ١ ، ص ٥٠٨ وفتاوى اللجنة جـ١ ، ص ٥١٧ ، ص٥١٩-٥٢٠ ومجلة البحوث العدد ٣٧ ص ٢٠٢-٢٠٤ .

أنواعه : من أنواع الشرك الأكبر ما يلي :

١ - شرك الطاعة :

والمراد به طاعة المخلوق في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله عن رضاً واطمئنان قلب .

مثال تحليل ما حرم الله : تحليل الربا ، والخمور ، والسفور .

ومثال تحريم ما أحل الله : تحريم تعدد الزوجات ونحو ذلك مما فيه استبدال لأحكام الله فمن أطاع مخلوقاً في ذلك - غير رسول الله[1] ﷺ - فقد جعله شريكاً لله في التشريع .

قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[2] .

يقول الطبري [3] في تفسير هذه الآية : (عن عدي بن حاتم قال : أتيت رسول الله ﷺ ... وانتهيت إليه وهو يقرأ ... ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال : قلت : يا رسول الله إنا لسنا

---

(١) فإنه لا ينطق عن الهوى .

(٢) آية ٣١ سورة التوبة .

(٣) جامع البيان جـ١٠ ص١١٤ .

نعبدهم . فقال : (**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه**) قال : قلت : بلى . قال: (**فتلك عبادتهم**)[١][٢] .

٢ - شرك الدعاء :

الدعاء في القرآن تارة يراد به دعاء العبادة، وتارة دعاء المسئلة، وتارة يراد به مجموعهما . وهما متلازمان فدعاء العبادة مستلزم لدعاء المسئلة ودعاء المسئلة متضمن لدعاء العبادة .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ... الآية﴾[٣] ، يتناول نوعي الدعاء ، وبكل منهما فسرت الآية، قيل أعطيه إذا سألني وقيل أثيبه إذا عبدني[٤] .

المراد بدعاء العبادة : هو عبادة الله بأنواع العبادات - كالصلاة والصيام والذبح والنذر وغيرها مما شرعه الله لعباده وأمرهم به - خوفاً وطمعاً يرجو رحمة الله ويخاف عقابه .

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير باب ومن سورة براءة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور جـ٣ ص٢٣٠ وقال : أخرجه ابن سعد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه ... عن عدي بن حاتم ثم ذكر الحديث .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٨٢ ، ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٣) آية ١٨٦ سورة البقرة .

(٤) انظر : بدائع الفوائد ، ص٢-٣ والفتاوى جـ١٠ ، ص ٢٣٧-٢٣٩ .

وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب ، وسمي دعاء : لأنه سائل لما يطلبه بامتثال الأمر [١] فهو سؤال بلسان الحال .

ومن صرف شيئاً من تلك العبادات لغير الله كمن ذبح لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾[٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [٣] أي لا تعبد مع الله أحداً[٤] ، فسمي مشركاً في دعاء العبادة .

وأما دعاء المسألة : فهو ما يصدر من العبد من توجه بالقلب واللسان طالباً خير أو دفع ضر ، الواجب أن يكون لله وحده لا شريك له ؛ إذ هو المالك للنفع والضر[٥] . قال تعالى : ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ...﴾[٦] الآية ، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن دعاء الله عبادة له فيكون صرفة لغير الله شركاً[٧] فإذا توجه الداعي إلى غير الله فإما أن يكون

---

(١) انظر : الفتاوى جـ١٠ ، ص ٢٤٠ ، وتيسير العزيز الحميد ، ص١٩٢ .

(٢) آية ١٤ الزمر وانظر فتح المجيد ص١٢٩ .

(٣) آية ١٨ الجن .

(٤) انظر تفسير وبيان مفردات القرآن ص٥٧٣ وتيسير العزيز الحميد ص١٨١ .

(٥) انظر : بدائع الفوائد ص٢ .

(٦) آية ١٠٦ يونس .

(٧) انظر : تيسير العزيز الحميد ص١٩٤ .

حياً أو ميتاً ، إن كان ميتاً فهو شرك على إطلاقه كمن يتوجه إلى صاحب قبر[1] وإن كان حياً وليس في مقدور العبد فهو شرك.

وإن كان في مقدور العبد فليس بشرك .

٣ - شرك المحبة :

المحبة قسمان : مشتركة وخاصة .

القسم الأول : المشتركة ، وهي ثلاثة أنواع :

أحدهما : محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام .

الثاني : محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده .

الثالث : محبة أنس وألف ، كمحبة الشريك لشريكه والصديق لصديقه .

وهذه الثلاثة لا تستلزم التعظيم ، لذا لا يكون وجودها شركاً لكن ينبغي أن تكون المحبة الخاصة مقدمة عليها .

القسم الثاني : المحبة الخاصة : وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثار المحبوب على غيره وهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً .. قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ص ١٨٦-١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٥ .

﴿أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ...الآية﴾ [١][٢].

قال الإمام ابن القيم في تفسير هذه الآية : (أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً) [٣].

الثاني : الشرك الأصغر :

تعريفه :

هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر وجاء في النصوص تسميته شركاً [٤].

حكمه :

محرم بل أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر لكنه لا يخرج من ارتكبه من ملة الإسلام [٥] ، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [٦] قال مجاهد وسعيد بن جبير وشهر بن حوشب : هم

---

(١) آية ١٦٥ البقرة .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ص٤١١ والفتاوى جـ١ ص٩١-٩٢ ، جـ١٠ ص٢١٦ ومدارج السالكين جـ٣ ص ٢٠ ، ٢٦ .

(٣) التفسير القيم ص١٤٠ .

(٤) فتاوي اللجنة جـ١ ص٥١٧ وانظر الكواشف ص١٨٦ .

(٥) العقيدة في صفحات ص٤١ وفتاوى اللجنة جـ١ ص٥١٨ .

(٦) آية ١٠ سورة فاطر .

المراؤن بأعمالهم ... يمكرون بالناس يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى[١] .

وقال ﷺ : «**أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر... الحديث**»[٢] .

ضرره :

من أضراره أنه يبطل ثواب العمل ، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً فإنه ينزل منزلة من لم يعمل .

ومن أضراره أيضاً أنه وسيلة قد تؤدي بصاحبها إلى الشرك الأكبر[٣] .

أنواعه :

من أنواعه ما يلي :

الأول : الشرك في النيات والمقاصد .

ومن ذلك : الرياء ، والسمعة ، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا :

١ - الرياء والسمعة .

الرياء : هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها[٤] .

وأما السمعة : فيراد بها نحو ما يراد بالرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير جـ٣ ، ص٥٤٩ .

(٢) رواه الإمام أحمد ، جـ٥ ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٣) انظر : الجواب الكافي ص١٥٥ .

(٤) فتح الباري جـ١١ ص٣٣٦ .

والريـاء بحاسـة البـصر[١] مثـل : أن يرفـع صـوته بـالقراءة أو الـذكر أو يعمـل العمل الصالح ويتحدث به ليكسب السمعة الحسنة .

حكمهما : الرياء والسمعة إن دخلا في أساس العمل بمعنى أنه لم يأت بأصل العبادة من صلاة أو قراءة أو ذكر إلا لأجل الريـاء والـسمعة فهـو شرك أكبر ، وهو شرك المنافقين وإن دخلا في تحسينه فهـو شرك أصـغر[٢] ، ولـذا ورد التحـذير منهما في الكتـاب والـسنة . قـال تعـالى : ﴿... فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٣] .

وقال ﷺ : **(من سمّع سمّع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به)** [٤].

٢ - إرادة الإنسان بعمله الدنيا :

المراد به : هو أن يعمل الإنسان أعمالاً صالحة يريد بها الدنيا .

مثاله : كالذي يتعلم ليأخذ مالاً أو ليحتل منـصباً ، كمـن يـتعلم القـرآن أو يواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد ونحو ذلك .

---

(١) فتح الباري جـ١١ ص٣٣٦ .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة جـ١ ص٥١٧ - ٥١٨ وفتح المجيد ص٣٦٩-٣٧٠ .

(٣) آية ١١٠ سورة الكهف .

(٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الرياء والسمعة ومسلم في الزهد بـاب مـن أشرك في عمله غير الله .

والفرق بينه وبين الرياء أن المرائي يبحث عن المدح والثناء . والمريد بعمله الدنيا يبحث عن المادة كالمال والمنصب[١] .

حكمه : إن كان مراد العبد من عمله منحصراً في العمل لأجل الدنيا فهذا ليس له في الآخرة نصيب وإن كان مراده من عمله وجه الله والدنيا والقصدان متقاربان فهذا شرك أصغر . وإن كان مراد العبد من عمله وجه الله وحده لكنه يأخذ على عمله جعلاً يستعين به على العمل . فهذا لا يضر أخذه على إيمان العبد إن شاء الله تعالى[٢].

الأدلة على تحريمه : من الأدلة على تحريمه قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٣].

وقال ﷺ : « **تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة ... الحديث**»[٤] .

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص٢٧٣ .

(٢) انظر : القول السديد ، ص ١٤٢-١٤٣ ومجلة البحوث العدد ٣٧ ص٢٢٤ .

(٣) آية ١٥-١٦ هود .

(٤) رواه البخاري في الجهاد باب ٧٠ والرقاق باب ١٠ ، وابن ماجه في الزهد باب ٨ ، عن أبي هريرة .

وقال ﷺ : « **من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة** »[١] .

الثاني : الشرك في الألفاظ :

ومن ذلك :

١ - **الحلف بغير الله** . كقول الرجل : وحياتي .

حكمه : من الشرك ا لأصغر إذا لم يعتقد تعظيم من حلف به وكان عالماً الحكم فإن كان جاهلاً عُلِّم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك شركاً أصغر . ومن الشرك الأكبر إن اعتقد تعظيم المحلوف به مثل تعظيم الله وكان عالماً الحكم . أما إذا كان جاهلاً عُلّم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك شركاً أكبر[٢] .

الأدلة على تحريمه : اتفق الكتاب والسنة والإجماع على تحريمه .

من الكتاب قوله تعالى: ﴿... فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣].

فإن قيل الآية نزلت في الأكبر قيل السلف يحتجون بما نزل في الأكبر

---

(١) رواه أبو داود في العلم باب في طلب العلم لغير الله ، وابن ماجة في المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، وانظر : جامع الأصول حديث ٢٦٤٨ .

(٢) انظر : الجواب الكافي ، ص١٥٨ وفتاوى اللجنة جـ١ ، ص٢٢٤ .

(٣) آية ٢٢ البقرة .

على الأصغر كما فسرها ابن عباس وغيره ؛ لأن الكل شرك[١] .

ومن السنة ما ورد في الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: « **ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت** »[٢].

ومن الإجماع ما قاله ابن عبد البر: (لا يجوز الحلف بغير الله إجماعاً)[٣].

٢ – قول ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت ونحوهما مما فيه مساواة بين الخالق والمخلوق .

حكمه : إن قام بقلبه تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله وكان عالماً فهو شرك أكبر ، وإن كان جاهلاً عُلّم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك شركاً أكبر ، وإن لم يقم بقلبه تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله ، وهو عالم بالنهي فهو شرك أصغر، فإن كان جاهلاً عُلّم فإن أصر فهو والعالم سواء كل منهما مشرك شركاً أصغر[٤].

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٥٢٢-٥٢٣ .

(٢) رواه البخاري جـ٣ ص١٢٦ ومسلم المطبوع مع شرح النووي جـ١١ ص١٠٥-١٠٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص٥٢٦ .

(٤) فتاوى اللجنة جـ١ ، ص٢٤٤ .

الأدلة على تحريمه :

من الأدلة على تحريم قول ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت ونحوهما قوله تعالى : ﴿ ... فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١] .

يقول ابن عباس في هذه الآية : (الأنداد : هو الشرك ... وهو أن تقول : والله وحياتك . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت وقول الرجل: لولا الله وفلان .. هذا كله شرك) [٢] .

ومن السنة ما روي عن حذيفة عن النبي ﷺ قال : (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان) [٣] .

٣ - إسناد بعض الحوادث إلى غير الله عز وجل واعتقاد تأثيره فيها :

ومن الشرك في اللفظ إسناد بعض الحوادث إلى غير الله عز وجل واعتقاد تأثيره فيها مثاله : قول البعض . لولا وجود فلان لحصل كذا وكذا ونحوه مما فيه نسبة بعض الحوادث إلى أسبابها القريبة .

---

(١) آية ٢٢ سورة البقرة .

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بسند جيد انظر : فتح القدير ج١ ص٥٢ وتيسير العزيز الحميد ص٥٢٣ .

(٣) أخرجه أبو داود برقم ٤٩٨٠ في الأدب باب لا يقال خبثت نفسي وإسناده صحيح انظر : جامع الأصول حديث ٩٤٣٥ .

الدليل على تحريمه قوله تعالى : ﴿... فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١] .

يقول ابن عباس : (الأنداد : هو الشرك ... وهو أن تقول : ... لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص ... إلى أن قال : هذا كله شرك)[٢] .

٤ - قول البعض : (مطرنا بنوء كذا) على طريق المجاز :

كذلك من أنواع الشرك الأصغر قول البعض مطرنا بنوء كذا مع عدم اعتقاده بأن للنجم تأثيراً وإنما المؤثر هو الله وحده . فهذا القول شرك أصغر لأنه نسب نعمة الله إلى غيره[٣] .

الدليل على تحريمه : ما روي عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : (هل تدرون ماذا قال ربكم ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم، قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ...) إلى أن قال : (وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)[٤] .

---

(١) آية ٢٢ سورة البقرة .

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بسند جيد ، انظر : فتح القدير ج١ ، ص٥٢ وتيسير العزيز الحميد ، ص٥٢٣ .

(٣) انظر : فتح المجيد ص ٣٢٤ .

(٤) رواه البخاري في صفة الصلاة باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، ومسلم في الإيمان باب بيان كفر من يقول مطرنا بالنوء وانظر : جامع الوصول حديث ٩١٩٨ .

الثالث : الشرك في الأفعال :

مثل لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم لرفع بلاء أو دفعه مثل من يعلق التميمة اتقاءً للعين ، إذا اعتقد أنها أسباب فهو شرك أصغر .

أما إذا اعتقد أنها تدفع بنفسها فهو شرك أكبر لأنه تعلق بغير الله [(١)].

قال ﷺ : (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) [(٢)].

ب- الكفر :

تعريفه :

الكفر لغة : مصدر كفر : يقال كفر يكفر كفراً وكفراناً .

ومعنى كفر : ستر وغطى - يقال لمن غطى درعه بثوب قد كفر درعه ويقال للزارع كافر لأنه يغطي الحب بتراب الأرض .

قال تعالى : ﴿... كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ... الآية﴾ [(٣)].

والكفر : نقيض الإيمان . سمي بذلك لأنه تغطية للحق .

---

(١) انظر : التوحيد ، ص١١ وتيسير العزيز الحميد ١٣٤ - ١٣٦ .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الطب ١٧ ، والإمام أحمد ، جـ١ ، ص٢٨١ ، وابن ماجة في كتاب الطب ٣٩ .

(٣) آية ٢٠ سورة الحديد .

والكفر : نقيض الشكر سمي بذلك لأنه جحد للنعمة وتغطية لها[١] .

الكفر في الشرع :

هو كل ما يناقض الإيمان أو ينقص كماله الواجب مما ورد في الكتاب أو السنة تسميته كفراً[٢].

أنواعه : نوعان :

الأول : كفر أكبر : وهو كل ما يناقض الإيمان من اعتقاد أو قول أو عمل ويوجب لصاحبه الخروج من الملة والخلود في النار[٣].

حكمه : مخرج من الملة ومن مات عليه خُلّد في النار .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[٤] .

---

(١) انظر : لسان العرب ، مادة كفر ، جـ١٢ ، ص ١١٨-١١٩ ، والصحاح ، مادة كفر ، جـ٢ ، ص٨٠٧-٨٠٨ ، والمصباح المنير مادة كفر ، ص ٥٣٥ ، ومعجم مقاييس اللغة، جـ٥ ، ص١٩١ .

(٢) انظر الفتاوى جـ١٢ ، ص٣٣٥، وكشاف اصطلاحات الفنون، جـ٥، ص ١٢٥ و٢٠٠ سؤال وجواب ص ٩٤ وكتاب التوحيد للفوزان ص ١٦ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل ج١ ص ٢٤٢ ومدراج الساكين جـ١، ص ٣٦٤ والإحكام ج١ ص ٤٩ .

(٤) آية ٦ سورة البينة .

وهو أنواع منها :

١ - كفر التكذيب والإنكار : وهو اعتقاد كذب الرسول ﷺ أو شيء مما جاء به مثل التكذيب فيما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من علم المغيبات والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾[1] .

٢ - كفر الإباء والاستكبار مع التصديق : مثل كفر إبليس ومثل كفر من عرف صدق الرسول ﷺ وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له استكباراً ، ومثل من يرفض الانقياد لأحكام الشريعة استكباراً .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[2] .

٣ - كفر الشك : وهو أن يشك في الرسول ﷺ أو في شيء مما جاء به كأن يشك في البعث بعد الموت : والدليل قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ

(١) آية ٦٨ سورة العنكبوت .

(٢) آية ٣٤ سورة البقرة .

بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [١] .

٤ – كفر الإعراض: وهو أن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى شيء مما جاء به البتة.

قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾[٢].

٥ – كفر النفاق : والمراد النفاق الأكبر . وهو إظهار دعوى الإيمان وإبطان التكذيب.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[٣][٤].

النوع الثاني : الكفر الأصغر :

وهو : كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان على عاملها[٥].

* **حكمه** : موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود[٦].

---

(١) آية ٣٥–٣٨ من سورة الكهف .

(٢) آية ٣ سورة الأحقاف .

(٣) آية ٣ سورة المنافقون .

(٤) انظر : مدارج السالكن جـ١ ص٣٦٦، ٣٦٧ ، ومجموعة التوحيد ص٦ .

(٥) ٢٠٠ سؤال وجواب ص٩٧ .

(٦) مدارج السالكين ج١ ، ص٣٦٤ .

مثاله : قتال المسلمين بعضهم بعض ، والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، ونحو ذلك ، قال ﷺ : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) [١] .

وقال ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) [٢] فأطلق على قتال المسلمين بعضهم بعضاً أنه كفر ومن يفعل ذلك كافراً . مع قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ... الآية ﴾ [٣] الآية ؛ فأثبت لهم الإيمان .

وقال ﷺ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن الحديث) [٤] زاد في رواية ، ولا يقتل وهو مؤمن [٥] .

مع حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال ﷺ : (ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة) قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : (وإن زنى وإن سرق) ثلاثاً ... الحديث [٦] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم - البخاري ج١ ص٣٨ ومسلم ج١ ص٨٢ .

(٢) رواه البخاري ومسلم - البخاري ج١ ص١١٠ ومسلم ج١ ص٨١ .

(٣) آية ٩ الحجرات .

(٤) رواه البخاري ج٣ ص١٧٨ ومسلم في كتاب الإيمان باب ٢٤ برقم ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٥) رواه النسائي في القسامة باب تأويل قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) . وانظر : جامع الأصول حديث ٩٣٧٠ .

(٦) رواه البخاري ، جـ٧ ، ص١٩٢ ومسلم في كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

فهذا يدل على أن الإيمان لا ينتفي عن الزاني والسارق وشارب الخمر والقاتل . إذ لو انتفى بالكلية لم يثبت له دخول الجنة وإنما ينتفي عنه كمال الإيمان[١] .

ومن أمثلته أيضاً كفر النعمة المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ... الآية ﴾ [٢] .

وبذلك نخلص إلى أن المعاصي التي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر كلها من نوع الكفر الأصغر ذلك أنها ضد الشكر الذي هو العمل بالطاعة[٣] .

جـ - النفاق :

تعريفه : النفاق لغة : مصدر نافق ينافق نفاقاً .

وهو : مأخوذ من النفق وهو السرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر وقيل من النافقاء وهو مخرج خفي لليربوع .

---

(١) أما انتفاء الإيمان بالكلية فإنما هو عمن اعتقد حلها سواء فعلها أو لم يفعل ؛ إذ أن ذلك يستلزم تكذيب الكتاب والرسول ﷺ في تحريمها . انظر : ٢٠٠ سؤال وجواب ، ص٩٨ .

(٢) آية ١١٢ سورة النحل .

(٣) مدارج السالكين جـ١ ، ص٣٦٥ و ٢٠٠ سؤال وجواب ص٩٧-٩٨ .

وسمي المنافق منافقاً، لأنه يستر كفره وله وجهان وجه ظاهر أمام المؤمنين ووجه خفي أمام أعدائهم فشبه بمن يدخل النفق يستتر به ويخلص إلى مكان آخر. أو باليربوع عندما يضع له بابين: باباً ظاهراً وباباً خفياً[١].

وفي الشرع: إظهار الدين وإبطان خلافه[٢].

أنواعه: نظراً إلى أن المنافق يبطن ما يخالف الدين. فإن هذا المبطن إما أن يكون كفراً أو فسقاً.

وعليه فالنفاق نوعان:

النوع الأول: إذا أظهر الإيمان والتصديق وأبطن الكفر والتكذيب وهذا هو النفاق الأكبر وهو اعتقادي.

حكمه: مخرج من الدين بالكلية وموجب الخلود في النار في دركها الأسفل إن مات عليه[٣].

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

---

(١) انظر: لسان العرب مادة نفق ج١٤، ص٢٤٣ والمصباح المنير مادة نفق ص٦١٨.

(٢) الفتاوى ج١١، ص١٤٣.

(٣) الفتاوى، جـ١١، ص١٤٣، ومدارج السالكين، جـ١، ص٣٧٦، والتوحيد ص١٦.

(٤) آية ٨ سورة البقرة.

يَفْقَهُونَ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[٢] .

أنواعه : النفاق الاعتقادي أنواع منها :

١ - اعتقاد كذب الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به .

٢ - بغض الرسول ﷺ أو شيء مما جاء به .

٣ - المسرة بانخفاض الدين الإسلامي أو المساءة بظهوره وانتصاره .

٤ - تبييت الشر للمسلمين وتدبير المكائد لهم .

٥ - الرغبة في التحاكم إلى غير شرع الله .

٦ - موالاة الكافرين وإعانتهم على المسلمين[٣] .

تاريخه :

هؤلاء المنافقون مجودون في كل زمان لاسيما عندما تكون للحق دولة ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر فإنهم يلجئوا إلى النفاق ليأمنوا على

---

(١) آية ٣ سورة المنافقون .

(٢) آية ١٤٥ النساء .

(٣) انظر : الفتاوى ج٢٨ ، ص٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ومدارج السالكين ج١ ، ص ٣٧٧-٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، وصفات المنافقين لابن القيم ص٣٠ ، ومجموعة التوحيد ص٧.

دمائهم وأموالهم . وليكيدوا له ولأهله في الباطن ، ولهذا نرى الدولة الإسلامية لما قامت في المدينة وانتصر المسلمون في بدر لجأ أعدائها في المدينة إلى النفاق[١] .

*** أبرز صفات هؤلاء المنافقين :**

من أبرز صفاتهم ما يلي :

١ - الجبن والهلع : قال تعالى : ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[٢] .

٢ - الشح والبخل : قال تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾[٣] .

٣ - المراوغة والتلون : قال تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[٤][٥] .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ج١ ص٤٧ .

(٢) آية ٥٦ التوبة .

(٣) آية ٥٤ التوبة .

(٤) آية ١٤ سورة البقرة .

(٥) انظر : الفتاوى ج٢٨ ص ٤٣٧ ، ٤٣٩ ومدارج السالكين ج١ ص ٣٧٩-٣٨٠ .

النوع الثاني : إذا أظهر الصدق والوفاء والأمانة ، وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك . وهذا هو النفاق الأصغر وهو عملي[١] .

حكمه : يكون صاحبه فاسقاً[٢] .

وإذا كثر قد يكون صاحبه منافقاً خالصاً .

قال ﷺ : (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) وفي رواية : (إذا أؤتمن خان) (وإذا وعد أخلف) أخرجه الجماعة إلا الموطأ واخرج النسائي الثانية[٣] .

طريقة التخلص منه : بترك أعمال المنافقين وبالذات الخصال الأربع المذكورة في الحديث ، والاستغفار منه[٤] .

د - احتياط الشرع لتوحيد الألوهية :

يحسن أن نختم الكلام على نواقض توحيد الألوهية بذكر بعض ما نهى عنه الشارع - احتياطاً لهذا التوحيد وحماية له - ذلك أنه قد يكون وسيلة للوقوع في الشرك الأكبر الذي هو أكبر نواقض هذا التوحيد فنقول وبالله التوفيق :

---

(١) الفتاوى ج١١ ص ١٤٣ .

(٢) الفتاوى ج١١ ص ١٤٣ .

(٣) انظر : جامع الأصول حديث ٩١٨٤ .

(٤) انظر : خلاصة معتقد أهل السنة ص ٦٥ .

إن الشارع حرم كل قول أو فعل قد يؤدي إلى الإخلال بهذا التوحيد ومن ذلك :

١ - أنه نهى عن الغلو في تعظيم القبور بالبناء عليها أو إسراجها أو تجصيصها أو الكتابة عليها ، ونحو ذلك مما قد يكون وسيلة إلى تعظيمها ، ومن ثم عبادتها .

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه) وفي رواية زيادة (وأن يكتب عليه وأن يوطأ) (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما (أن رسول الله ﷺ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) (٢) .

٢ - نهى عن اتخاذ المساجد على القبور : ذلك أنه قد يكون ذريعة إلى تعظيمها ومن ثم عبادتها ، قال ﷺ : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) (٣) .

---

(١) رواه مسلم في الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه ، وانظر : جامع الأصول حديث ٨٦٥٢ .

(٢) رواه أبو داود في الجنائز باب في زيارة النساء للقبور . والترمذي في الصلاة باب ماجاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجد ، وانظر : جامع الأصول حديث ٨٦٦٣ .

(٣) رواه البخاري في الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، ومسلم في المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، وانظر جامع الأصول حديث ٣٦٦٩ .

٣ – نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لما في ذلك من التشبه بعبادها حيث يتحرون السجود لها في هذه الأوقات .

قال ﷺ : (لا يتحرى أحدكم فيصلي عند طلوع الشمس ولا عند غروبها)[١] .

٤ – نهى عن شد الرحال إلى مكان من الأمكنة بقصد التقرب إلى الله بالعبادة فيه إلا المساجد الثلاثة التي هي : (المسجد الحرام ، ومسجد المدينة والمسجد الأقصى) . قال ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. مسجدي هذا ، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى)[٢] .

٥ – نهى ﷺ عن الغلو في تعظيمه ومدحه ، وغيره من باب أولى ؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى إشراك المخلوق في حق الخالق سبحانه وتعالى .

قال ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)[٣] والإطراء : هو مجاوزة الحد في المدح

---

(١) رواه البخاري في مواقيت الصلاة ، باب لا تتحرى الصلاة قبل غروب الشمس ، وباب الصلاة بعد الفجر ، ومسلم في صلاة المسافرين باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، وانظر : جامع الأصول حديث ٣٣٣٥.

(٢) رواه البخاري في التطوع باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . ومسلم في الحج باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد وانظر : جامع الأصول ، حديث ٦٨٩٥ .

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء ، باب قوله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ ، وانظر: جامع الأصول حديث ٨٥١٧ .

والكذب فيه .

٦ - نهى عن الوفاء بالنذر إذا كان في مكان يعبد فيه صنم أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية ، ذلك أن فيه تشبه بالمشركين . والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم .

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : نذر رجل على عهد رسول الله أن ينحر إبلا ببوانة فأتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال ﷺ : (هل كان فيها وثمن من أوثان الجاهلية يعبد ؟) قالوا : لا . قال : (هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟) قالوا : لا ، فقال رسول الله ﷺ : (أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ...) الحديث[1] .

٧ - نهى عن التصوير لما فيه روح ؛ ذلك أنه وسيلة من وسائل الشرك . بل إن أول الشرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير ، وبيان ذلك أن الناس كانوا على التوحيد ، فزين الشيطان لبعضهم تصوير الصالحين ونصب صورهم في المجالس لأجل تذكر أحوالهم والإقتداء بهم في العبادة ، حتى أتى أقوام لا يعلمون الحكمة من تصوير هذه الصور فاعتقدوا فيها النفع والضر من دون الله فعبدوها .

---

(١) أخرجه أبو داود في الإيمان والنذور باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر وإسناده صحيح ، انظر : جامع الأصول ، حديث ٩١٤٨ .

كما أن المصور يحاول أن يضاهي الله عز وجل فيما انفرد به من الخلق .

ولذا حذر المصطفى ﷺ من التصوير وتوعد فاعله بأشد الوعيد وأمر بطمسها .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً، فيعذبه في جهنم)[١] .

وروى مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي رضي الله عنه : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[٢] [٣] .

* * *

(١) رواه البخاري في البيوع باب بيع التصاوير ومسلم في اللباس باب تحريم تصوير صور الحيوان ، وانظر : جامع الأصول حديث ٢٩٥٦ .

(٢) رواه مسلم في الجنائز باب الأمر بتسوية القبور والترمذي في الجنائز باب ما جاء في تسوية القبور ، وانظر جامع الأصول حديث ٢٩٧٥ .

(٣) انظر : القول السديد ص٥٠ ، ٧٣-٨٢ ، ١٨٣،١٨٤ وفقه التوحيد ، ص٨٠-٨٢ ، والإرشاد ، ص٤٨ - ٦٠ .

الخاتمة

بسم الله بدأنا وبحمده والشكر له ختمنا ونصلي ونسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . أما بعد :

فإنه من خلال هذا البحث المتواضع توصلت إلى نتائج مهمة منها :

١ - أن الألوهية : هي العبادة - والإله : هو المعبود .

وتوحيد الألوهية : هو إفراد الله بجميع أنواعه العبادة .

٢ - أن لتوحيد الألوهية منزلة كبيرة في الدين الإسلامي ؛ إذ أنه الغاية المحبوبة لله المرضية له التي خلق الخلق لها . وأول دعوه الرسل وأول أمر في القرآن ، وأول واجب وآخر واجب وهو التوحيد الذي ضلت فيه الأمم، ولذا دعاء إليه الرسول ﷺ طيلة العهد المكي وأغلب العهد المدني ، وأغلب الآيات القرآنية جاءت في تأكيده والنهي عن ضده ، وأمر ﷺ أن يقاتل الناس عليه ، وهو المقصود بشهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله) .

٣ - أن في القرآن أساليب كثيرة ومتنوعة في الدعوة إلى هذا التوحيد . منها :

- أمره سبحانه وتعالى بعبادته والنهي عن عبادة ما سواه . وشهادته على هذا التوحيد كما شهدت ملائكته وأنبيائه ورسله ، وإخباره أنه خلق الخلق

لعبادته وأرسل الرسل بالدعوة إليها .

- الاحتجاج بتفرد الله بالربوبية وكمال التصرف وغيرها من خصائص الربوبية . التنديد بما يتخذه الناس آلهة من دون الله ، والتشنيع بحال العابدين لها ، وبيان عاقبتهم .

- الاحتجاج بتفرد الله بكمال الأسماء والصفات .

-الوعد لمن وحده والوعيد لمن أشرك به.

- ضرب الأمثلة إلى تبين أن المشرك مهما عمل فلن ينال رضا معبوده .

- الرد على المشركين في اتخاذهم الوسائط بينهم وبينه .

- بيان أن هؤلاء المعبودين لا يحصل منهم نفع لمن عبدوهم من جميع الوجوه .

- ضرب الأمثلة التي تصور علو التوحيد والموحد وانخفاض الشرك والمشرك.

٤ - أن تحقيق هذا التوحيد يكون بإفراد الله بجميع أنواع العبادة والبراءة من كل معبود سواه ومن كل وسيلة قد تؤدي إلى عبادة ذلك الغير .

٥ - أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية .

٦ - أن لتوحيد الألوهية فوائد كثيرة منها :

الخلوص من الشرك والنفاق ، وجمع الكلمة ، والحصول على نصر الله

وتأييده ، كما أنه يورث القوة والشجاعة ويزيل من النفس الكبر والإعجاب، ويحمل المرء على كل خلق فاضل .

٧ – أن ما يزعمه المتكلمون من أن الإلهية : هي القدرة على الاختراع والإله القادر على الاختراع . وأن من أقر بذلك فقد شهد أن لا إله إلا الله قول خاطئ بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد وتوحيد الإلهية : أن يعبد الله وحده لا شريك له .

٨ – أن للعبادة أركان وشروط :

– أركانها : المحبة والرجاء والخوف .

– وشروطها : صدق العزيمة ، وإخلاص النية ، وموافقة الشرع .

٩ – أن للعبادة في الإسلام خصائص فريدة منها :

الشمول ، والاستمرار ، واليسر والسهولة ، وأنها توقيفية ، ومتنوعة .

١٠ – أن العبادة التي يتحقق هذا التوحيد بها ترجع إلى القلب أو اللسان أو الجوارح – منها: ما يؤدى بواحد من الثلاثة، ومنها ما يؤدى باثنين، ومنها ما يؤدى بالثلاثة . وعبادات القلب : منها الواجب ، ومنها المستحب ، ومنها المحرم ومنها المكروه ومنها المباح . ومثلها عبادات اللسان وسائر الجوارح .

١١ – أن من نواقض توحيد الألوهية : الشرك ، والكفر ، والنفاق .

١٢ – أن الشرك نوعان أكبر واصغر .

١٣ – أن الشرك الأكبر : مخرج من الله محبط للعمل ، صاحبه حلال الدم والمال ، وفي الآخرة مخلد في النار إن مات عليه ، لا يغفر له إلا بالتوبة ، تحرم مناكحته وذبيحته إلا إذا كان كتابياً ، لا يرث ولا يورث من قبل المسلمين إذ هو أظلم الناس وأضلهم .

مثل : شرك الطاعة وشرك الدعاء وشرك المحبة .

١٤ – أن الشرك الأصغر : أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر لكنه لا يخرج من ارتكبه من ملة الإسلام – وهو يبطل ثواب العمل ووسيلة قد تؤدي بصاحبها إلى الشرك الأكبر – كالرياء والسمعة ، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا ، والحلف بغير الله ، وقول ما شاء الله وشئت ، وإسناد بعض الحوادث إلى غير الله . وقول البعض مطرنا بنوء كذا ، ولبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم ونحو ذلك .

١٥ – أن الكفر نوعان : أكبر : مخرج من الملة ومن مات عليه خُلِّد في النار مثل كفر التكذيب ، وكفر الاستكبار ، وكفر الشك، وكفر الإعراض ، وكفر النفاق .

وكفر أصغر : موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود ويشمل المعاصي التي لاتصل إلى حد الكفر الأكبر .

١٦ - أن النفاق نوعان : أكبر : مخرج من الدين ، وموجب الخلود في النار - إن مات عليه - مثل : اعتقاد كذب الرسول ﷺ أو بغضه، أو بغض شيء مما جاء به ، أو المسرة بانخفاض الدين الإسلامي ، أو تبييت الشر للمسلمين ، أو الرغبة في التحاكم إلى غير شرع الله ، أو موالاة الكافرين وإعانتهم على المسلمين .

وأصغر : صاحبه فاسقاً : مثل الكذب والخيانة ، وخلف الوعد والفجور في الخصومة ، والغدر .

١٧ - أن الشارع قد احتاط لهذا التوحيد فنهى عن كل وسيلة قد تؤدي إلى الإخلال به ، كالغلو في تعظيم القبور ، واتخاذ المساجد عليها ، وشدّ الرحال إلى أي مكان بقصد التقرب إلى الله بالعبادة فيه إلا المساجد الثلاثة، والغلو في تعظيمه ﷺ وغيره ، والوفاء بالنذر - إذا كان في مكان يعبد فيه غير الله - وتصوير ما فيه روح . ونحو ذلك .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

فهرس المراجع

١- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي - ط الثانية عيسي البابي الحلبي .

٢- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ، دار الحديث ، القاهرة .

٣- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح بن فوزان الفوزان ط الثانية ١٤١٦ دار ابن الجوزى المملكة العربية السعودية .

٤- بدائع الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان

٥- التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيميه ط الأولى ١٤٠٥ ، شركة العبيكان للطباعة الرياض .

٦- تفسير غريب القرآن ـ لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ ط ١٣٩٨هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧- التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمع أويس الندوي ـ ط ١٣٩٨ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٨- تفسير ابن كثير لإسماعيل بن كثير القرشي ـ ط ١٤٠٥ عالم الكتب بيروت لبنان.

٩- تفسير وبيان مفردات القرآن لمحمد حسن الحمصي دار الرشيد دمشق بيروت .

١٠- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز الناصر الرشيد دار الرشيد للنشر .

١١- التوحيد لصالح بن فوزان الفوزان ، الناشر : مكتبة الأثير بالرياض .

١٢- التوحيد: لعبد الرزاق عفيفي - ط الأولى ١٤٠٣ المكتب الإسلامي

١٣- تيسير العزيز الحميد : لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

١٤- جامع الأصول : للإمام مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري مطبعة الملاح ط الأولي ١٣٨٩ هـ.

١٥- جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري ، ط ١٤٠٥هـ - دار الفكر ، بيروت .

١٦- الجواب الكافي : للإمام ابن قيم الجوزية ط الثالثة ١٤٠٠هـ- دار المطبعة السلفية .

١٧- الحد الفاصل بين الإيمان والكفر: لعبد الرحمن عبد الخالق. ط الرابعة ١٤٠٣، دار القلم الكويت

١٨- خلاصة معتقد أهل السنة لعبد الله سليمان المشعلي ط الثالثة ١٤١٠هـ مكتبة ابن خزيمة بالرياض .

١٩- دلائل التوحيد: لمحمد جمال الدين القاسمي، ط الأولى ١٤١٢هـ دار النفائس بيروت لبنان.

٢٠- سنن أبي داود : لسليمان بن الأشعث السجستاني، ط الأولى ١٤٠٩ دار الحنان بيروت لبنان.

٢١- سنن الترمذي : لمحمد بن عيسى الترمذي، ط الثانية ١٣٩٤ دار الفكر.

٢٢- سنن ابن ماجة ـ لمحمد بن يزيد القزويني ـ ط ١٣٩٥ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٢٣- سنن النسائي: لأحمد بن علي النسائي . ط الأولى ١٣٤٨ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٢٤- ٢٠٠ سؤال وجواب : في العقيدة الإسلامية لحافظ بن أحمد حكمي دار الاعتصام

٢٥- شرح العقيده الطحاوية : لابن أبي العز الحنفي ط الرابعة ١٣٩١ المكتب الإسلامي بيروت لبنان.

٢٦- الصحاح : لإسماعيل بن حماد الجوهري ط الثالثة ١٤٠٤هـ دار العلم بيروت لبنان .

٢٧- صحيح البخاري : لمحمد بن إسماعيل البخاري ط ١٣٩٠هـ مطبعة الأهرام التجارية .

٢٨- صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج القشيري ط ١٣٧٤ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

٢٩- صفات المنافقين لابن القيم : ط الرابعة ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان.

٣٠- العبادة : د. محمد أبو الفتح البيانوني ط الأولى ١٤٠٤ دار السلام القاهرة.

٣١- العبودية لابن تيمية : ط السادسة ١٤٠٣ المكتب الإسلامي بيروت لبنان .

٣٢- العقيدة في صفحات : لأبي بكر بن محمد الحنبلي ط الأولى ١٤٠٩ دار عمار ـ عمان.

٣٣- عقيدة المؤمن : لأبي بكر جابر الجزائري ط الثانية ١٣٩٨هـ مكتبة الكليات الأزهرية

٣٤- الفتاوى لشيخ الإسلام : لابن تيميه ط الأولي ١٣٩٨هـ مطابع دار العربية بيروت لبنان

٣٥- فتاوى اللجنة الدائمة :للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب الشيخ احمد عبد الرزاق الدويش، ط الأولى ١٤١١هـ الرئاسة العامة للبحوث العملية والإفتاء بالرياض .

٣٦- فتح الباري: لأحمد بن على بن حجر العسقلاني نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

٣٧- فتح القدير : لمحمد بن على الشوكاني ط ١٤٠١هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

٣٨- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل

الشيخ ط السابعة ١٣٧٧هـ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٣٩- فقه التوحيد: لخالد عبد الرحمن العك ط الأولى ١٤١٦ دار إحياء العلوم بيروت لبنان.

٤٠- القول السديد : لعبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ط الأولى ١٤١٢- دار الوطن الرياض.

٤١- كشاف اصطلاحات الفنون : لمحمد علي الفارقي التهانوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م .

٤٢- كنز العمال : لعلي المتقي بن حسام الدين الهندي ط الخامسة ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة.

٤٣- الكواشف الجلية: لعبد العزيز محمد السلمان ، ط الثانية ١٣٩٠هـ مطبعة السعادة .

٤٤- لسان العرب : لابن منظور ط الثانية ١٤١٢هـ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان

٤٥- مجلة البحوث : عدد ٣٧ رجب شعبان رمضان شوال عام ١٤١٣هـ .

٤٦- مجموعة التوحيد : للشيخ محمد بن عبد الوهاب ونخبة من علماء المسلمين نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية .

٤٧- مدارج السالكين : لابن قيم الجوزية ط الثانية ١٤٠٨هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

٤٨- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية : لعثمان جمعة ضميريه ط الثانية ١٤١٧هـ مكتبة السوادي للتوزيع جدة.

٤٩- المستدرك : لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري - الناشر : دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

٥٠- مسند الإمام أحمد: لأحمد بن حنبل ط ١٣١٣ المطبعة الميمنية بمصر. مؤسسة قرطبة القاهرة.

٥١- المصباح المنير : لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ط ١٩٧٧م دار المعارف .

٥٢- معارج القبول: لحافظ بن أحمد حكمي ط الثالثة ١٤٠٤هـ دار العدالة.

٥٣- معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٥٤- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ، مطابع دار المعارف بمصر ط الثانية ١٣٩٣هـ

٥٥- المغني : لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه - مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

٥٦- المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية لعبد الآخر حماد الغنيمي ط الثانية ١٤١٦ دار الصحابة - بيروت لبنان.

فهرس الموضوعات

* * *